﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحجّ: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

فَصَّلتِ الآيةُ الكريمةُ المشاهدَ العجيبةَ لانقلاب حالِ النّاس عندَ الزّلزلةِ

هذه الآيةُ مرتبطةٌ تمامَ الارتباطِ بالآية السّابقة؛ لأنّها جاءت لتُبيّنَ عِظَمَ أحداثِ السّاعة الَّتي أشارت إليها الآيةُ السّابقة، فالضّميرُ في ﴿تَرَوۡنَهَا﴾، إمّا أن يعود على الزّلزلةِ المُتحدَّثِ عنها، وإمّا أن يعود إلى السّاعة، فيكون "مِنَ القلاقل والبلابلِ ما تنصدعُ له القلوبُ، وتَجِلُ منه الأفئدةُ، وتشيبُ منه الولدانُ، وتذوب له الصّمُّ الصِّلابُ"(1)، ممّا عبّرت عنه الآيةُ الكريمة، بذهول المُرضعةِ عنِ الرّضيع، ووضعِ ذاتِ الحَمْل ما في بطنها مِنَ التّرويع، ورؤيةِ النّاسِ كالسُّكارى، وما هم بسُكارى، ولكنّهم في حالةٍ قُصوى مِنَ الهَلَع والتّفزيع.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَذۡهَلُ﴾: (ذهل) أصلٌ "يدلُّ على شُغْلٍ عن شيءٍ بذُعْرٍ أو غيره، ذَهِلْتُ عنِ الشّيء أذْهَلُ، إذا نسيتَه أو شُغِلْت، وأذْهَلَني عنه كذا"(2)، و"الذّهول شُغْلٌ يورِثُ حُزنًا ونسيانًا"(3)، و"الذَّهْل: تركك الشّيءَ، تناساه عن عمد، أو شَغَلَكَ عنه شُغْلٌ، تقول ذَهِلْتُ عنه أو أذهلني كذا عنه"(4)، فدلالةُ اللّفظ تحملُ معنى التّرك، إمّا عمدًا أو غفلةً، أو نسيانًا؛ لشغلٍ أذهب الذّهنَ عن تذكُّره، فالذّهل حالةٌ تصيبُ النّاسَ، فيتركون أهمَّ شاغلٍ لهم، وينصرفون عنه.

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 532.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذهل).
(3) الرّاغب، المفردات: (ذهل).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ذهل).

2) ﴿مُرْضِعَةٍ﴾: (رضع) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو شُرْبُ اللَّبَنِ مِنَ الضَّرْعِ أوِ الثَّدْيِ، تَقولُ: رَضِعَ المَوْلودُ يَرْضَعُ، ويُقالُ: امْرَأَةٌ مُرْضِعٌ، إذا كانَ لَها ولَدٌ تُرْضِعُهُ، فَإنْ وصَفْتَها بإرْضاعِها الوَلَدَ قُلْتَ: مُرْضِعَة[1]، فهذه هي الرّضاعة، ﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: 233]، وكلُّ ما جاء مِنَ التّركيب في القرآن فهو بمعنى الرّضاعةِ الحقيقيّةِ، والمُرْضعةُ: التّي تُرضعُ، وجمعُها: (مراضعُ)[2].

3) ﴿حَمْلٍ﴾: (حمل) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إقْلالِ الشَّيْءِ، يُقالُ: حَمَلْتُ الشَّيْءَ أحْمِلُهُ حَمْلًا، والحَمْلُ: ما كانَ في بَطْنٍ أوْ عَلَى رَأْسِ شَجَرٍ، يُقالُ: امْرَأةٌ حامِلٌ وحامِلَةٌ، فَمَنْ قالَ حامِلٌ، قالَ: هَذا نَعْتٌ لا يَكونُ إلّا لِلْإناثِ، والحِمْلُ: ما كان على ظَهْرٍ أو رَأْسٍ[3]، والمرادُ بقوله تعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ المرأةُ الحاملُ؛ لأنّها جاءت في مقابلِ المُرضعةِ.

4) ﴿سُكَٰرَىٰ﴾: جمع سَكْرانٍ، و(سكر) أَصْلٌ واحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى حَيْرَةٍ، مِنْ ذَلِكَ السُّكْرُ مِنَ الشَّرابِ، يُقالُ: سَكِرَ سُكْرًا، ورَجُلٌ سِكّيرٌ، أيْ: كَثيرُ السُّكْرِ، والتَّسْكيرُ: التَّحْييرُ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: 15]، والسَّكْرُ: حَبْسُ الماءِ، والماءُ إذا سُكِرَ تَحَيَّرَ[4]، وقال الرّاغب: السُّكْرُ: حالة تعرّض بيتَ المرءِ وعقلَه، وأكثرُ ما يُستعملُ ذلك في الشّراب، وقد يعتري مِنَ الغضب والعشقِ[5]، والمرادُ بـ ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ في الآية: شدّةُ الذّهول الّذي يَذْهبُ بالعقول؛ لعظَمِ الموقفِ وأهوالِه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يوم تَرون آثارَ هذه الزّلزلة العُظمى، تَنْسَى كلُّ أُمٍّ تُرضع ولدَها، أنّه في حِجرها، وأنّ ثديَها في فمه، وتغفلُ عنه غفلةً تامّةً، لشدّةِ ما أصابَها مِنَ الرّعب والفَزَعِ والذّهولِ مِن أهوالها، وتتحلّلُ عضلاتُ الإمساكِ في أرحام الأُمّهاتِ، فلا تستطيعُ الحفاظَ على أجنّتِها، فتنحدرُ تلك الأجنّةُ دون إرادةٍ مِن أُمّهاتِها، وترى النّاسَ مِن قوة الهولِ والفَزَعِ كأنّهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رضع).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رضع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حمل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سكر).
(5) الرّاغب، المفردات: (سكر).

سُكارَى مِن شدّة الذّهولِ والهَذيان، وليسوا سكارَى على الحقيقةِ، ولكنّ عذابَ اللّه يومئذٍ شديدٌ ومَهولٌ[1].

أهوالُ السّاعةِ غيّرتْ نواميسَ الكونِ المألوفةَ بما يُذهِلُ ويُشغلُ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصْلِ الآيةِ عن سابقتِها:

تُرك عطفُ هذه الآية على سابقتها، إمّا لكمال اتّصالِها بها؛ لأنّها مبيّنةٌ ومُفسّرةٌ لها، وفي ذلك يقول ابنُ عاشور: "جملةُ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾، بيانٌ لجملةِ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾؛ لأنّ ما ذُكر في هذه الجملة، يُبيّنُ معنى كونِها شيئًا عظيمًا، وهو أنّه عظيمٌ في الشَّرِّ والرُّعبِ"[2]، وقد يكون سببُ فصْلِها عنها أنّها جاءت جوابًا عن سؤالٍ مُقدّرٍ: وماذا يحدثُ عند هذه الزّلزلة؟ على سبيل الاستئنافِ البيانيِّ، أو ما يُسمِّى: شبْهَ كمال الاتّصالِ.

التّمثيلُ لأهوالِ السّاعةِ العجيبةِ بثلاثةِ مشاهدَ عجيبةٍ

دلالةُ موقعِ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ في السّياقِ:

يقولُ الرّازيُّ عن موقع ﴿يَوْمَ﴾ الإعرابيِّ: "مَنْصوبٌ بِـ ﴿تَذْهَلُ﴾، أي: تَذْهَلُ في ذَلِكَ اليَوْمِ"[3]، ويمكن أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًا بإضمار الفعل (اذكر)، أو أن يكون بدلًا مِنَ الزّلزلة، وعلى كلّ الأحوال تكون جملةُ: ﴿تَذْهَلُ﴾، حالًا مِن ضمير المفعول[4].

تتعدّدُ الوجوهُ الإعرابيّةُ بحسبِ تنوّعِ المعاني

عوْدُ الضّمائرِ في قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾:

قد يعودُ الضّمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ إلى معنيَين؛ أوّلُهما: الزّلزلةُ، وثانيهما: يمكنُ أن يعود الضّميرُ إلى السّاعة، وضميرُ الخطاب هنا، هو لكلِّ مَن تتأتّى منه رؤيةُ تلك الزّلزلة بالإمكان[5]، "فعلى الأوّلِ يكونُ الذُّهولُ والوَضْعُ حقيقةً؛ لأنّه في الدّنيا، وعلى الثّاني: يكونُ

قيامُ السّاعةِ هولٌ في الدّنيا ومَلمحٌ للمَصيرِ في الآخرةِ

(1) مجموعة من الباحثين، التّفسير الوسيط: 6/ 1175.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 188.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 201.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 108.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 201، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 188.

على سبيلِ التّعظيم والتّهويل، وأنّها بهذه الحيثيّةِ، إذِ المرادُ بالسّاعةِ القيامةُ، وهو كقولِه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمّل: 17]"[1].

بلاغةُ الرّؤيةِ بين الحقيقةِ والمجازِ:

الرّؤيةُ إمّا إدراكٌ بالبصيرة أو مشاهدةٌ بالعين الباصرةِ

قد تكون الرّؤيةُ هنا بمعنى الإدراك والعلم؛ لأنّ الزّلزلة تُسمعُ ولا تُرى، وأمّا إذا عاد الضّميرُ إلى السّاعة، فالرّؤيةُ هنا بصريّةٌ، وتعني: مشاهدةَ ما يحدثُ فيها مِنَ المَرئيّات، مِن حضور النّاسِ للحشر، ومُشاهدةِ أحوال العذابِ، وقرينةُ ذلك قولُه: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾.

فائدةُ التّعبير بالفعلِ المضارعِ في ﴿تَرَوْنَهَا﴾:

تشخيصُ الفعلِ للمشهدِ من فصيح البيانِ

دلّ الفعلُ المضارع في هذا السّياقِ العجيبِ، على استحضار الصّورةِ أمامَ المشاهدِ كأنّها رأيُ عينٍ، والتّصويرُ لهذا المشهد العظيمِ يكاد يأخذُ بالأبصار، ويخلعُ القلوبَ مِنَ الصّدور، ويهدُّ كيانَ الإنسان الذّاهلِ، المشحونِ بالرّعب والارتجافِ والذّهولِ.

فائدةُ تقديمِ ﴿يَوْمَ﴾ على عاملِه:

الظّرفُ المقدّمُ ذو أثرٍ في الاهتمام بزمنِ الوقوعِ

تقديمُ الظّرف على عاملِه ﴿تَذْهَلُ﴾ هنا للاهتمام بالتّوقيت بذلك اليوم، وتوقّعِ رؤيتِه لكلّ مُخاطَبٍ مِنَ النّاس، وأصل نظْمِ الجملة: (تذهل كلُّ مرضعة عمّا أرضعت، يومَ ترونَ زلزلةَ السّاعة)[2]، وغفلةُ المُرضعة عن وليدها الّذي تتعلّق به بالفطرةِ، وتحميه مِن كلّ أذًى بالغريزة، وربّما فَدَتْه بنفسها عند الخيار، لكنّها لهول الموقفِ، وزلزلةِ الكون، كان المشهدُ أقوى مِنَ العاطفةِ والفطرةِ والغريزةِ، فَذَهِلَت المُرضعةُ عن رضيعها.

نُكْتَةُ التّعبير بالفعلِ ﴿تَذْهَلُ﴾ مادّةً وصيغةً:

الفعلُ (تَذْهَلُ) من فرائدِ سورة الحجّ ولم يردْ في سواها

دلالةُ هذا اللّفظِ الفريد في القرآن الكريم، في مادّته وصيغته، تحملُ معنى التّرك، إمّا عمدًا، أو غفلةً، أو نسيانًا؛ لشُغْلٍ أذهبَ

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 222.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 188.

الذّهنَ عن تَذَكّره، على معنى: يومَ تشهدون قيامَ السّاعة، تنشغل الوالدةُ عن رضيعَها الّذي ألقمتْه ثدْيَها؛ مِن شِدّة الكَرب، وتُسْقِطُ الحاملُ حملَها مِنَ الفزع، وتغيبُ عقولُ النّاس، فهم سُكارى مِن هول المنظر وفَزَعِه، وليسوا بسُكارى مِنَ الخمر، ولكنّ شدّةَ العذاب أفقدتْهم عقولَهم وإدراكَهم.

فجاء اللّفظُ يحملُ دلالةَ تركِ شيءٍ مهمٍّ، لانشغال النّفْس بشيءٍ أهمَّ، وسُلوِّها عمّا تألفُه، وكانت دلالةُ مادّته وصوتِه وبنائِه الصّرفيّ، على المضارع الّذي أفاد استحضارَ الصّورةِ أمامَ القارىء، تشخّصُ للسّامع صورةً حيّةً مِن انعدام الإدراك للشّيء، مِن هول ما ترى، وعِظَم ما تشهدُ.

بلاغةُ الكنايةِ في التّعبير عن هولِ الموقف:

شِـــدّةُ المـوقـفِ وهـولُـه تُشغلُ المـرضـعـةَ عن رضيعِها وصَونِه

تحصّلَ مِن هذه الكناية في قوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾، دلالةٌ على جميع لوازم شدّةِ الهول، وليس يلزمُ في الكنايةِ أن يُصرّحَ بجميع اللّوازم؛ لأنّ دلالةَ الكناية عقليّةٌ وليست لفظيّةً، والمُرادُ: أنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِكُلِّ مُرْضَعَةٍ مَوْجودَةٍ في آخِرِ أيّامِ الدُّنْيا، فالمَعْنَى الحَقيقي مُرادٌ، فَلَمْ يَقْتَضِ أنْ يَكونَ الإرْضاعُ واقِعًا، فَأُطْلِقَ ذُهولُ المُرْضِعِ وذاتِ الحَمْلِ، وأُريدَ ذُهولُ كُلِّ ذي عَلَقٍ نَفيسٍ عَنْ عَلَقِهِ، عَلَى طَريقَةِ الكِنايَةِ[1].

نُكْتَةُ الكنايةِ في التّعبير بـ ﴿كُلُّ﴾ في السّياقِ:

الـفَـزَعُ المُـزَلـزِلُ يُـذْهِـلُ المُرضعةَ عـن رضـيـعِـهـا ناهيكَ عن غيرِها

زيادَةُ كَلِمَةِ ﴿كُلُّ﴾، للدّلالَةِ على أنَّ هَذا الذُّهولَ يَعتَري كُلَّ مُرضِعٍ، ولَيسَ هو لِبَعضِ المَراضِعِ، باحتِمالِ ضَعفٍ في ذاكِرَتِها، ثمّ تَقتَضي هَذِهِ الكِنايَةُ كِنايَةً عَن تَعميمِ هَذا الهَولِ لِكُلِّ النّاسِ؛ لِأنَّ خُصوصيةَ هذا المعنى بِهَذا المَقامِ أنَّهُ أظهَرُ في تَصويرِ حالَةِ الفَزَعِ والهَلَعِ، بِحَيثُ يَذهَلُ فيهِ مَن هو في حالِ شِدَّةِ التَّيَقُّظِ؛ لِوَفرَةِ دَواعي اليَقَظَةِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 189_190.

وذَلِكَ أنَّ المَرأةَ لِشِدَّةِ شَفَقَتِها كَثيرَةُ الاستِحضارِ لِما تُشفِقُ عَلَيهِ، وأنَّ المُرضِعَ أشَدُّ النِّساءِ شَفَقَةً على رَضيعِها، وأنَّها في حالِ مُلابَسَةِ الإرضاعِ أبعَدُ شَيءٍ عنِ الذُّهولِ، فَإذا ذَهِلَت عَن رَضيعِها في هَذِهِ الأحوالِ، دَلَّ ذَلِكَ على أنَّ الهَولَ العارِضَ لَها هَولٌ خارِقٌ لِلعادَةِ، وهَذا مِن بَديعِ الكِنايَةِ عَن شِدَّةِ ذَلِكَ الهَولِ؛ لِأنَّ استِلزامَ ذُهولِ المُرضِعِ عَن رَضيعِها لِشِدَّةِ الهَولِ، يَستَلزِمُ شِدَّةَ الهَولِ لِغَيرِها بِطَريقِ الأولَى، فَهو لُزومٌ بِدَرَجَة ثانية، وهَذا النَّوعُ مِنَ الكِنايَةِ يُسَمَّى الإيماءَ[1].

علّةُ التّعبير بتاءِ التّأنيث في قوله: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾:

التَحَقَتْ هاءُ التَّأنيثِ بِوَصْفِ ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ للدّلالَة على تَقريب الوَصف من مَعنَى الفعل، فَإنَّ الفعلَ الَّذي لا يوصَفُ بحَدَثه غَيرُ المَرأة، تَلحَقُهُ عَلامَةُ التَّأنيث؛ ليفادَ بهَذا التَّقريب أنَّها في حالَة التَّلَبُّس بالإرضاع، كَما يُقالُ: هي تُرضِعُ، ولَولا هَذه النُّكتَةُ لَكانَ مُقتَضَى الظّاهر أن يُقالَ: كُلُّ مُرضع؛ لأنَّ هَذا الوَصفَ من خَصائص الأُنثَى، فَلا يُحتاجُ مَعَهُ إلى الهاء، الَّتي أصلُ وضعها للفَرق بَينَ المُؤَنَّث والمُذَكّر، خيفَةَ اللَّبس، وهَذا من دَقائق مَسائل نُحاة الكوفَة، وقَد تَلَقّاها الجَميعُ بالقَبول[2]، ونَظَمَها ابنُ مالك في أُرجوزَته (الكافية) بقَوله[3]:

وَما مِنَ الصِّفاتِ بِالأُنْثَى يُخَصّ***عَنْ تاءِ اسْتَغْنَى لِأنَّ اللَّفْظَ نَصّ

وَحَيْثُ مَعْنَى الفِعْلِ تَنْوي التّاءَ زِدْ***كَذي غَدَتْ مُرْضِعَةً طِفْلًا وُلِدْ

ففي التّعبيرِ بالمُرضعة مبالغةٌ في التّنبيه على شِدّة أهوالِ يوم القيامة، وتخصيصُها بالذّكر؛ لأنّها أشفقُ على ولدها[4].

انشغالُ المُرضعةِ عن رضيعِها لهولِ الموقفِ أدلُّ على انشغال غيرِها

نُكْتَةُ التّعبيرِ باسمِ الفاعل في قولِه: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾:

جاء النّظمُ الكريمُ باسمِ الفاعلِ لفعل الإرضاع؛ ليَدُلَّ على كثرة

اسمُ الفاعل يدلُّ على تمكّنِ الفعلِ مِن صاحبِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 189_190.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 189_190.
(3) ابن مالك، شرح الكافية الشّافية: 4/ 1732.
(4) الأندونيسيّ، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/ 308.

إرضاعِها لطفلها، حتّى بات هذا الفعلُ اسمًا لها، فاسمُ الفاعل يدلُّ على تمكّن الفعلِ مِنَ الفاعل، وهذا يدلُّ على مدى حرصِها عليه، وعلى إرضاعِه، وأنّها لا يمكنُ أن تترك إرضاعَه إلّا لأمرٍ جَلَلٍ.

دلالةُ (ما) في قوله: ﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾:

معنى (مـا) في السّياقِ بحسبِ المعاني المُحتملةِ

(ما) هنا إمّا موصولةٌ بمعنى (الّذي)، والعائدُ محذوف؛ لأنّه ضميرٌ متّصلٌ منصوب بفعلٍ، ويكثر حذفُه، والتّقديرُ: (عن الّذي أرضعتْه)، وهو الأولى؛ لأنّه يَدُلّ على المبالغة في ذهولِها عن شيءٍ هو نُصْبُ عينيها، وهي في عملٍ متعلّقٍ به[1]، وإمّا أن تكون (ما) مصدريّةً، يقول أبو السّعود: "والتّعبيرُ عنه بما دونَ (مَنْ) لتأكيدِ الذّهولِ، وكونِه بحيثُ لا يخطرُ ببالِها أنّه ماذا، لا أنّها تعرف شيئيَّتَه، لكن لا تدري مَن هو بخصوصه، وقيل: ما مصدريّةٌ، أي: تذهلُ عنْ إرضاعِها، والأوّلُ أدَلُّ على شِدّةِ الهولِ وكمالِ الانزعاجِ[2].

نُكْتَةُ العُدولِ عنِ الفعل المضارع إلى الماضي:

انتقاءُ الصّيغةِ المناسبةِ للدّلالة مِـــن بـلـيـغِ الاستعمالِ

في قوله تعالى: ﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾، عدلَ السّياقُ الكريمُ عن قوله: (عَمّا تُرْضِعُ)، إلى الفعل الماضي؛ ليشير إلى أنّ تركَ إرضاعِها له حَدَثَ وانتهى مِن لحظة أن رأت زلزلةَ السّاعة، وهذا أشدُّ وصفًا للتّرك مِنَ الفعل المضارع، ويكون المعنى: (تذهلُ ناسيةً طفلَها الّذي أرضعتْه، وغذّتْه مِن لبنها الّذي هو قطعةٌ منها)، وكأنّها في هذا الحزن الدّاهم تنسى نفسَها، أو قطعةً مِن ذاتها[3].

نُكْتَةُ حذفِ مفعولِ الإرضاع:

أثـرُ الـحـذفِ في السّـيـاقِ مظهرٌ لبيانِه ودلالتِه

في قوله تعالى: ﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ حُذف المفعولُ، والتّقدير: (عمّا أرضعته)، وحُذِف العائدُ إيجازًا للعِلْم به، وليَعُمّ وليدَها وغيرَه، فقد تكونُ مرضعةً لغير وليدها، والإرضاعُ شاغِلٌ عن كلّ شيء سواه؛

(1) الأندونيسيّ، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/ 308.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 92.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4938.

نظرًا لشُبوبِ عاطفة الأمومةِ، واتّصالِ التّشبّث بالوليد الرّضيع، فلمّا كان الذّهولُ عنه، دلّ ذلك على أنّ الحدث كان عظيمًا، وهو مدمِّرٌ للحياة الدّنيا، وناقلٌ للنّاس إلى حياة أُخرى أعظمَ وأبقَى.

نُكْتَةُ العطفِ في جملة ﴿وَتَضَعُ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾، هو مِن عطف الأهوال على الأهوال، وهذه الحالة أشدُّ مِن سابقتِها؛ لأنّها تتعلّق بحالةِ انفصالٍ أشدَّ مِنَ السّابق، هو بين الأمّ وجنينِها.

بلاغةُ الكنايةِ في وضع ذاتِ الحَمْل حَمْلَها:

تقديمُ هولِ قيامِ السّاعة المُريعةِ بعبارة دقيقةٍ بديعةٍ

جملة: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾، كنايةٌ عن شِدّة الاضطراب، وهولِ السّاعة؛ لأنّ الحملَ يكونُ محفوظًا في قرارٍ مكين، فإذا وضعتْه أُمُّه، فإنّما وضعتْه مِن شدّة الأهوالِ والخوف الّذي لاقته.

نُكْتَةُ التّعبير بالمضارعِ ﴿وَتَضَعُ﴾ والتّأكيدِ بـ﴿كُلُّ﴾:

التّعبيرُ بالأفعال المضارعةِ يفيدُ تصويرَ المشهد بجلاءٍ

وقد أفاد التّعبيرُ بالفعل المضارع هنا، استحضارَ الصّورةِ للقارىء، في مشهدٍ حيٍّ أمامَه، وأفاد التّوكيدُ بـ﴿كُلُّ﴾ شُمولَ كلّ حاملٍ بهذا الوضع القسريِّ، فليس لبعضهنّ دون بعضٍ، وهذا أبلغُ في تصوير الكنايةِ عن شِدّة الفَزَع والهَلَع، بحيثُ تضعُ فيه كلُّ ذات حملٍ حملَها، مع حرصِها عليه، ومع كونِه في قرارٍ مكين.

دلالةُ التّعبير بقوله: ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾:

شِدّةُ الموقفِ أوجبتِ الانفصالَ رغمَ ما بين الحاملِ وحَمْلِها مِنَ الاتّصال

لم يأت لفظُ الآية: (وَتَضَعُ كُلُّ حاملٍ حَمْلَها)، كما قال عن المُرضعة، وإنّما عبَّر بقوله: ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: صاحبةُ حَمْل، وفي ذلك يقول الرّازيّ: "والمَعْنَى: أنَّها تُسْقِطُ ولَدَها لِتَمامٍ أوْ لِغَيْرِ تَمامٍ، مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ"[1]، فالحاملُ قد يكون حملُها حديثًا أو قديمًا، فالحَمْلُ يمكثُ تسعةَ أشهر في رحمِها، فقوله: ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾ يشملُ هذا كلَّه، أي: كلَّ ما يصِحُّ أن يكون حملًا، سواء أكان صغيرًا أم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 201.

كبيرًا، فضلًا عن أنّ قوله: ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾ يشملُ كلَّ ما يمكنُ أن تحملَه في بطنها أو في غيره، وقد جرتِ العادةُ بأن يُقال: امرأةٌ ذاتُ حمل، دون حامل، كقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ [الطلاق: 4]، مع ما في هذه الإضافة مِنَ التّنبيه على شِدّة اتّصال الحمل بالحامل، فيدلُّ على أنّ وضعها إيّاه إنّما كان لسببٍ مُفظع.

نُكْتَةُ التعبير بالمصدر: ﴿حَمْلَهَا﴾ وإضافته:

يضافُ المحمول لأُمّه؛ لالتصاقِه بها

وعبّر بالمصدر: ﴿حَمْلٍ﴾ عنِ الاسم المفعول (محمول)؛ لأنّ الوصفَ بالمصدر أبلغُ[1]، وفي قوله: ﴿حَمْلَهَا﴾ أضاف المحمولَ لأمّه الّتي حملته؛ لأنّ الحملَ مُلتصقٌ بها، لا يفارقُها إلّا لأمر جَلَلٍ، وكان الذّهولُ عنِ الحَمْل بفعلٍ "مِنَ الرّهبة والفَزَع، فالحَبالَى ينزل حملهُنّ مِنَ الفَزَع قبلَ ميعاد وضعِه، أو تضعُه على الرّغم منها لفزعها واضطرابها، وكأنّ هذه الزّلزلةَ تُزَلزلُ الجسمَ، وتزلزلُ النّفسَ"[2].

نُكْتَةُ عطفِ جملةِ ﴿وَتَرَى﴾:

رؤيــةُ الـفـزعـةِ الـعـامّـةِ تُنبئ بـهـول الـحَـدَثِ الّـذي أسكرَ بلا مُسْكِرٍ

قولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾، هذه هي الحالةُ المُفزِعةُ الثّالثةُ التّي ذكرتها الآيةُ، وهي حالةٌ أشدُّ مِن سابقتَيْها؛ لأنّها لا تتعلّق بحالة فرديّةٍ، إنّما بحالة جمْعيّةٍ تَعُمّ جميعَ النّاس، لذلك فترتيبُ هذه الأحوالِ، ارتقى تصاعديًّا في الشِّدّة مِنَ الأقلّ فزعًا إلى الأشدّ.

غرضُ التّعبير بالمضارع في قوله: ﴿وَتَرَى﴾:

الـصّـورةُ المُـعَـبَّرُ عنها في السّياقِ مُستبشَعةٌ في كلّ زمانٍ

أفاد التّعبيرُ بالفعل المضارع استحضارَ صورةِ المَشهد المُفظِع، لما يجري في ذلك اليوم، كأنّه يجري الآن أمامَ القارىء، حتّى يستحضرَ صورتَه وخلاصةَ المشهد، كما يراه المخاطَبُ، أنّ النّاس لذُهولِهم ونسيانِهم لأنفسهم، قد شُبِّهوا بالسُّكارى، فهم في غفلة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 191.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4939.

سادرون، دونَ وعيٍ ولا رُشدٍ، كالسُّكارى المُفرطين في السُّكر، وإن لم يكونوا قد تناولوا مُسكرًا، كما هو دأبُ أصحابِ هذا البلاءِ، مِنَ المُعتادين للسُّكْر[1].

نُكْتَةُ العُدولِ عن ﴿تَرَوْنَهَا﴾ إلى ﴿وَتَرَى﴾:

هولُ الفَزَع يومَ القيامة لا يكادُ يَخْفَى على أحد

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾، الخطابُ في ﴿وَتَرَى﴾ هنا كما هو في المرّة الأولى لغير معيَّنٍ، بل هو لكلّ مَن يَصْلُحُ للخِطاب، وقال بعضُهم: إنّ سبب إفرادِ الضّمير هنا هو التّفنّنُ؛ كراهةَ إعادةِ الجَمْع[2]، لكنّه في الحقيقة تعليلٌ غيرُ كافٍ، يقول الزّمخشريّ: "فإن قلتَ: لم قيل أوّلًا: ترون، ثمّ قيل: ترى، على الإفراد؟ قلتُ: لأنّ الرّؤية أوّلًا عُلّقَت بالزّلزلة، فجعلَ النّاسَ جميعًا رائين لها، وهي معلّقة أخيرًا، بكون النّاس على حال السُّكر، فلا بدّ أن يجعل كلّ واحد منهم رائيًا لسائرِهم"[3]، وأضاف أبو السّعود: "فإنَّ المرادَ بيانُ تأثيرِ الزَّلزلةِ في المَرئيِّ لا في الرّائي، باختلافِ مشاعرِه؛ لأنَّ مدارَه حيثيّةُ رؤيتِه للزّلزلةِ لا لغيرِها، كأنَّه قيلَ: ويصيرُ النّاسُ سُكارى الخ، وإنّما أوثِرَ عليهِ ما في التّنزيلِ للإيذانِ بكمالِ ظهورِ تلك الحالةِ فيهم، وبلوغِها مِنَ الجلاءِ إلى حَدٍّ لا يَكادُ يخفى على أحد[4].

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

هـــولُ قـيـام الـسّـاعـةِ عـامٌّ ومُطبقٌ لا فِرارَ لأحدٍ منه

تعريفُ النّاس هنا قد يُفيدُ الاستغراقَ؛ لبيان أنّ هذا الحالَ عامٌّ وطامٌّ في النّاس كلِّهم، لا ينجو مِن هذا الوصف أحدٌ، ويمكنُ حملُه على العهد الذّهنيِّ، على معنى: (وترى النّاسَ الَّذين تعرفُهم وتعيشُ بينهم وحالُهم كذلك).

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4939 (بتصرّف).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 191.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 143.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 92.

دلالةُ الموقعِ الإعرابيّ لقوله: ﴿ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾:

لفظةُ: ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مفعولُ الرّؤية؛ لأنّها رؤيةٌ بصريّةٌ، تكتفي بمفعولٍ واحدٍ، و﴿سُكَٰرَىٰ﴾ حالٌ منصوبةٌ، وإذا كانتِ الرّؤيةُ قلبيّةً بمعنى الظّنّ، تكونُ ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ مفعولًا ثانيًا للرّؤية[1].

المَلْمحُ الإعرابيُّ يتحدّدُ به تأويلُ الرّؤيةِ في السّياق

نُكْتَةُ توجيهِ القراءات في لفظَيْ ﴿سُكَٰرَىٰ﴾:

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخَلَف: بفتح السّين وإسكان الكاف من غير ألف ﴿سَكْرَىٰ﴾ على وزن فَعْلَى، مثل: عَطْشَى وجَوْعَى؛ إجراءً للسُّكْر مَجْرى العِلل، فَحُجّة مَن اختار ﴿سَكْرَىٰ﴾، قالَ: لأنّ السُّكْرَ آفَةٌ داخلةٌ على الإنسان، كالمَرض والهَلاك، فَقالوا سَكرى مثل هَلْكَى، وقَرأ الباقون: بضمّ السّين وفتح الكاف بعدها ألف ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ جمع سكران[2]، ولا شكّ أنّ كِلا القراءتيْن أفادتا تمكّنَ التّشبيهِ فيهم، والفرقُ بينهما: أنّ ﴿سَكْرَىٰ﴾ مشترك بين الجَمْع وبينَ الوصفِ للمفرد، وقد يُراد بها التّركيزُ على الوصف، كما يقال: (مواقفُ كبرى)، و﴿سُكَٰرَىٰ﴾: فيها تركيزٌ على الكثرة؛ لأنّها خاصّةٌ بالجمع.

تنوّعُ الدّلالةِ مع تنوّع القراءةِ من فصيح البيانِ

بلاغةُ التّشبيه البليغِ في حالة الرّؤيةِ القلبيّةِ:

قولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾، إذا كانتِ الرّؤيةُ هنا بصريّةً فلا تشبيهَ، وإذا كانت قلبيّةً بمعنى الظّنّ، فقد شبّهتِ الآيةُ حالَ النّاسِ بحال السُّكارى، بجامع اضطرابِ أحوالِهم وعدم استقرارِها؛ لشِدّة الاضطرابِ والفزع مِن هولِ ما رأوا، وقرينةُ التّشبيه قولُه بعدَها: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، والمَعْنَى: وتَراهُمْ سُكارَى على التَّشْبيهِ، وما هُمْ بِسُكارَى على التَّحْقيقِ[3]، فحُذفت أداةُ التّشبيه ووجهُ الشّبه، وهذا ما يُسمّى بالتّشبيه البليغ عند المُحقّقين مِن أهل البلاغة[4].

تشبيهُ حالِ النّاس عند قيامِ السّاعة بحالٍ واقعيّةٍ يعرفونَها

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 109.

(2) ابن خالويه، إعراب القراءات السّبع، ص: 280، وابن الجزري، النشر: 2/ 325، وقمحاوي، طلائع البشر، ص: 332، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 92.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 201.

(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 231.

دلالةُ الواو على الحال في الآية:

اختيارُ جُملة الحالِ لوصف عِظَمِ الحالِ

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، الواو هنا حاليّةٌ، على معنى: والحالُ أنّهم ليسوا كذلك، والجملةُ بعدَها في محلّ نصبٍ على الحال، وهي حالٌ مؤكِّدةٌ إذا كانت الجملةُ السّابقةُ على التّشبيه؛ لأنّها جملةٌ اسميّةٌ اقترنت بالواو[1].

بلاغةُ التّوكيدِ في سياقِ نفْيِ الجملةِ الاسميّةِ:

نفَى السُّكْرَ عنهم وأثبتَه لغيرهم؛ لتجليةِ الصّورةِ

تقدّم النّفيُ هنا على المُسنَد إليه والمسندِ الفعليِّ، وهذه الحالة تُفيد التّخصيصَ عند أهل المعاني، أي: إنّه نفَى السُّكْرَ عنهم، وأثبتَه لغيرهم، فضلًا عنِ اقتران الخبرِ بالباء الَّتي يكثر وقوعُها في خبر (ما) العاملةِ عملَ (ليس)، وهي مفيدةٌ للتّأكيد أيضًا.

دلالةُ الواوِ في جملة توصيفِ عذابِ الله:

مَن تعرّضَ لعذابِ الله فإنّ عذابَ الله شديدٌ

قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، أفادتِ الواو هنا معنى الاستدراك، على قوله: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، "كأنّه تعليلٌ لإثبات السُّكْرِ المجازيِّ، كأنّه قيل: إذا لم يكونوا سُكارَى مِنَ الخَمر، وهو السُّكْرُ المعهودُ، فما هذا السُّكْرُ الغريبُ؟ وما سببُه؟ فقال: سببُه شِدّةُ عذابِ اللّه تعالى"[2].

نُكْتَةُ إضافةِ العذابِ للفظِ الجلالةِ:

مَن لم يُدرِكْ عِظَمَ عذابِ الله في دنياه اصطلَى بشِدّتِه في أُخراه

أُضيفَ العذابُ إلى لفظ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾؛ ليفيدَ أنّه عذابٌ ليس كأيّ عذابٍ، حيثُ وصَفَتْهُ الآيةُ بأنّه شديدٌ، ولا ريبَ أنّ اللّه الّذي وصفَ رحمتَه بأنّها ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، قد أعطى للإنسان الفرصةَ للمُراجعةِ والالتزام، وحَذّره مِن قِصَر الدّنيا، وقُرْب قيام السّاعة، ومِن كوْنِ عذابِ اللّه شديدًا، وقد أرسل له الرّسلَ بالبلاغ، فأخبره بقُرب ذلك، لعلّه يتوبُ إلى اللّه متابًا، ومَن أنذرَ فقد أعذرَ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 109.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 231.

بلاغةُ المتُشابهِ اللّفظيِّ في وصفِ العذاب:

أثَرُ تغايُرِ أوصافِ العـــذاب في تـلاؤمِـهـا مع السّـيـاقِ الّـذي جاءت فيه

وردت مادّةُ (عذب) ومشتقّاتُها في القرآن الكريم ما يزيد عن ثلاثمائة وسبعين مرّةً، وجاء هذا العذابُ موصوفًا بصفاتٍ كثيرةٍ، بعضُها أكثرُ ورودًا مِن بعض، ومِن هذه الصّفات: (العذابُ العظيم، الأليمُ، الشّديدُ، المُهينُ، القريبُ، المُقيمُ، النُّكرُ، وغيرُها)، ومِن حيثُ المَبدأُ يمكنُ أن نقول: إنّ كلّ صفةٍ مِن هذه الصّفات تُغايرُ أُختَها، فلا ترادفَ بينَها البتّةَ، ولا تَسُدُّ صِفةٌ منها مَسَدّ أختِها، وليس التّغايرُ في ذِكْرِها تلوينًا في الخطاب، ولا افتنانًا في الكلام، إنّما تأتي كلُّ صفةٍ منها متلائمةً مع السّياق الّذي جاءت فيه، فمثلًا: جاء وصفُ العذاب بأنّه (مهين)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: 57]، في سياق الحديث عمّن اجترؤوا فيه على الله ورسوله، فظنّوا أنّهم مِنَ العَظَمة والكِبر بحيثُ يقدِرون على فعلتِهم هذه، فجاء العذابُ مِن جنس العملِ، ووُصِفَ بأنّه عذابٌ مهين؛ لينزعَ عنهم كلَّ ذرّة مِن كِبر وخُيلاءَ.

وجاء وصْفُ العذابِ بالعِظَم في مواضعَ استوجبت ذلك، مِن مثلِ قولِه تعالى في شأن قصّة الإفك حولَ أمّ المؤمنين: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النّور: 14 - 16]، فالبُهتانُ العظيمُ شأنُه عند الله عظيمٌ، لذا استوجبَ هذا العذابَ العظيم.

وجاء وصْفُه بالشِّدّة في سياقاتٍ استوجبت هذا الوصفَ، مِن مثْلِ قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشّورى: 16]،

فمِثْلُ هذه المَحاجّةِ بعد أنِ استُجيب للّه تعالى تستوجِبُ عذابًا يوسَمُ بالشّدّة، وفي آية الحجّ هنا، استوجب العذابَ وصْفُه بالشّدّة؛ لأنّهم جمعوا بينَ الاعتداءِ والاحتيال وعدمِ الاستجابة للوعظ.

وكذلك الحالُ في وصفه بـ(أليم)، مِن مثلِ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النّحل: 116 - 117]، فإنّك مهما تأمّلتَ وصفًا للعذاب، يفوق كونَه أليمًا لهذه المواضع فلن تجدَ.

وكذلك الحالُ في وصْفه بالقُرب، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النّبأ: 38 - 40]، فالتّذكيرُ بمَشاهدِ الآخرة في سياق إبراز النّدمِ على ما فات مِنَ الأعمال، في يومٍ لا ينفع فيه مثلُ هذا النّدم، يُناسبه وصْفُ العذاب بالقُرب، لتَنزجرَ النّفوسُ، ولا تغترَّ بالمتاع سريعِ الانقضاء.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الذّهولُ والغَفْلةُ والسّهوُ والغَرور:

الغَفْلة: سَهوٌ يعتري الإنسانَ مِن قِلّة التّحفّظ والتّيقّظ؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [ق: 22][1]، لذا فإنّ الغفلةَ تكونُ بغير قصدٍ.

دلالـــةُ لـفـظِ الـذّهـولِ تحملُ معنى التّرك إمّا عمدًا أو غفلةً أو نسيانًا

أمّا الغَرور: فهو كلّ ما يَغُرُّ الإنسانَ مِن مال وجاه وشهوة وشيطان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: 33]، وقد فُسّر بالشّيطان؛ إذ هو أخبثُ الغارّين، وبالدّنيا لما قيل: الدُّنيا تغُرُّ وتضُرُّ وتَمُرُّ[2]، فيكون الغَرور بقصد.

(1) الرّاغب، المُفردات: (غفل).
(2) الرّاغب، المُفردات: (غرر).

والسَّهْوُ كما يقول الرّاغب: خطأٌ عن غفلة، وذلك ضربان؛ **أحدُهما:** أن لا يكون من الإنسان جوالِبُه ومولّداتُه، كمجنون سَبّ إنسانًا، **والثّاني:** أن يكون منه مولّداتُه، كمَن شرب خمرًا، ثمّ ظهر منه منكرٌ لا عن قَصْد إلى فِعْله، والأوّلُ معفوٌّ عنه، والثّاني مأخوذٌ به، وعلى نحو الثّاني ذمَّ اللّهُ تعالى، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: 5][1].

وقد فرّق العسكريُّ بينَ الغفلة والسّهو، فقال: "الغفلةُ تكون عمّا يكونُ، والسَّهو يكونُ عمّا لا يكونُ، تقول: غفلتُ عن هذا الشّيء حتّى كان، ولا تقول: سهوتُ عنه حتّى كان؛ لانّك إذا سهوتَ عنه لم يكن، وفرقٌ آخَرُ: أنّ الغَفْلَة تكون عن فعل الغير، تقول: كنتُ غافلًا عمّا كان مِن فلان، ولا يجوز أن يَسْهَى عن فعل الغير.

وأمّا الفرق بينَ الغَفلة والنّسيان؛ فالغفلةُ: عدمُ التّفطّن للشّيء وعدمُ عقليّته بالفعل، سواء بقيت صورتُها أو معناها في الخيال أو الذِّكْر، أوِ انمحت عن أحدهما، وهي أعمُّ مِنَ النّسيان؛ لأنّه عبارةٌ عنِ الغَفْلة عنِ الشّيء، معَ انمحاءِ صورته أو معناه عنِ الخيال، أو الذِّكْر بالكليّة، ولذلك يحتاج النّاسي إلى تجشّم كسبٍ جديد وكُلفةٍ في تحصيله ثانيًا[2].

وأمّا الذّهول: فهو شُغلٌ يورثُ حُزنًا ونسيانًا[3]، فدلالةُ اللّفظِ تحملُ معنى التّرك، إمّا عمدًا أو غفلة أو نسيانًا؛ لشُغْلٍ أذهبَ الذّهنَ عن تَذَكّره، فالذّهلُ حالةٌ تُصيب النّاسَ، فيتركون أهمَّ شاغل لهم وينصرفون عنه، لذا كان الذّهولُ أعمَّ مِنَ الغفلة؛ لأنّه يقعُ بقصدٍ وغير قصدٍ، وأخصَّ مِنَ الغرور والنّسيان؛ لأنّه نشأ عن حُزنٍ وشاغلٍ عظيم، أشغلَ صاحبَه عمّا في يديه.

(1) الرّاغب، المفردات: (سها).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 388 - 389.
(3) الرّاغب، المفردات: (ذهل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»